وما سواها (397)

عيون وعيون!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

العلاقة بين النظر والبصر متباينة , فليس كل مَن ينظر يبصر , فالنظر من وظائف العيون والبصر من وظائف العقول , والقليل من الناس لديهم علاقة متوازنة بين النظر والبصر

فهم ينظرون ولا يرون الواقع القائم أمامهم , بل يسقطون عليه صورا قائمة في أدمغتهم , وهذا يتسبب بتنوع إدراك الشيئ المنظور.

البعض يجد الحالة مقلوبة إذ أن البصر قدرة والنظر إستخدام مقصود لهذه القدرة , فكل نظر يحتاج لبصر وليس كل بصر نظر

أن هناك علاقة بين النظر والتأمل والتفكر والتدبر , بينما البصر يحسب على أنه قدرة حسية , أي الرؤية بآلة العين السليمة , بمعنى أنه نشاط فسيولوجي والنظر حالة فكرية وعقلية ذات تطلعات إدراكية متنوعة

عندما نقرأ أي حالة مهما كانت بعيون القرون نكتشف

العلاقة بين النظر والبصر متباينة , فليس كل مَن ينظر يبصر , فالنظر من وظائف العيون والبصر من وظائف العقول , والقليل من الناس لديهم علاقة متوازنة بين النظر والبصر , فهم ينظرون ولا يرون الواقع القائم أمامهم , بل يسقطون عليه صورا قائمة في أدمغتهم , وهذا يتسبب بتنوع إدراك الشيئ المنظور.

والبعض يجد الحالة مقلوبة إذ أن البصر قدرة والنظر إستخدام مقصود لهذه القدرة , فكل نظر يحتاج لبصر وليس كل بصر نظر , أي أن هناك علاقة بين النظر والتأمل والتفكر والتدبر , بينما البصر يحسب على أنه قدرة حسية , أي الرؤية بآلة العين السليمة , بمعنى أنه نشاط فسيولوجي والنظر حالة فكرية وعقلية ذات تطلعات إدراكية متنوعة.

فدعونا نبصر وننظر بعيون الزمان والمكان وبعدسات نفسية وسلوكية محدبة!!

أولا: عيون القرون!!

عندما نقرأ أي حالة مهما كانت بعيون القرون نكتشف أن هناك قوانين غير مرئية تتحكم بمسيرتها , وأن مآلاتها على غير ما يتوقع الناظرون فيها بعيون أخرى!!

فعندما سقطت بغداد عام 1258 على يد هولاكو , قرأ الناس آنذاك أنها الطامة الكبرى , ولن تقوم قائمة للعرب والمسلمين بعدها , وبرغم شراسة العدوان والضغط النفسي والدعائي الرهيب الذي رافقه , لكن أحدهم قرأه بعيون القرون وقرر أن يواجهه ويؤمن بأنه سيهزمه , لأن الإرادة الكونية معه , وحتمية النتيجة بانت بوعيه , فنهض بالمهمة السلطان " قطز" فدحر جيش هولاكو ومزقه شر ممزق , فاستعادت الأمة كرامتها وعزتها وقدرتها على مواصلة الحياة , ومات هولاكو وجيشه وبقيت الأمة حية في ضمير الوجود الإنساني.

وما تتعرض له الأمة من عدوان متعدد الأطراف والوسائل والغايات , سينتهي حتما , ولن يدوم ظلم وقهر وعدوان , وإنما كل ما يحصل برموزه وآلته سيندحر , عاجلا أم آجلا , وستعود الأمة إلى طريقها المعبد بالقوة والإقتدار.

فمهما طالت مدة العدوان فأن الحق سينتصر عليه , فالنصر للحق دوما والهزيمة للباطل حتما.

ولهذا فأن الذين يكتبون بيأس وإنكسار عليهم أن يستبدلوا عدسات رؤيتهم , ويتأملوا التأريخ بموضوعية ويقارنون بين ما كانت عليه الأمة وما هي عليه اليوم , وسيكتشفون أن الأمة بخير , وما هذه الإنبعاجات العاصفة في بعض بلدانها , إلا ليقظتها وتحفيزها للتوثب والعطاء المجيد.

فكم من الجيوش هُزِمَتْ على ترابها ومن القادة والسلاطين توسّدوا ثراها , ومن الأحداث دارت رحاها فيها وبها , ومن الحروب والكروب عصفت بديارها , لكنها وأدتها وتجاوزتها وانتصرت عليها , وبقيت

عزيزة متواصلة بوهج رسالتها السامية.

والسر أن الأمة ذات إرادة حية راسخة لا تقتلها العاديات والنائبات , بل تزيدها قدرة على المجالدة والإنطلاق العزوم إلى فضاءات صيرورتها الكبرى.

فلنتفاءل بأن المستقبل أفضل وأروع , وأن الحاضر سيكون أجمل وأبهى , وستذهب مع الريح عواصف اليأس والخمول.

وإن غدا لناظره لقريب!!

ثانيا: للموت عيون!!

للموت عيون , فهو قوة فاعلة في الوجود وقدرة على التغيير والتدمير وعودة الموجودات إلى عناصرها الأولية , في دائرة التكوين المفرغة , فوق أرض منفية , ذات تراب يتخلق لينجب ما لا يمكن عده من المخلوقات المتنوعة الأشكال والأصناف.

عيون الموت واسعة محدقة تتكلم جميع اللغات التي تختصرها بلغة واحدة واضحة , يراها المتأمل المُجرب الخبير , فقبل موت الأحياء تتجمع طاقة خفية في عيونها , وتتكاثف ثم تأخذ بالذوبان شيئا فشيئا حتى يأزف الموت , وهذا واضح في البشر قبل موته , وفي الحيوانات كافة , ولهذا كان الناس يعلمون في السابق مصطلح " حضور الموت" , ويستعدون للخاتمة بتصفية حساباتهم في الدنيا , فيوصون ويرسمون معالم مصير الأشياء التي تخصهم.

وقد ضعفت هذه القدرة على معرفة حضور الموت عند الناس بسبب الإنغماس في زحمة الدنيا , وما تفرضه عليهم من نشاطات وإنقطاعات عن حقيقة الحياة.

وعيون الموت كنت أراها ناطقة في وجوه العديد من المرضى الذين أعاينهم , فهي تبوح عما يفتعل في أعماق البشر , وتحكي قصة بأبجديات جلية.

فالمنتحرون تفشي عيونهم بما سيفعلونه وما يريدون القيام به , والذين يحف بهم الموت بأنواع أسبابه , عيونهم تنطق بلغته , فالموت يتكلم بلغات العيون.

تذكرت عيون الموت , وقد أرسل إلي صديق صورة لأحد الزملاء قبل بضعة أيام , وحالما نظرت إلى الصورة قلت أنها عيون الموت , فقلت له إسأله عن بعض الأمور التي أريد معرفتها بخصوص الحالات التي عايشها والتجارب التي مر بها , وتأملت أن أحصل على جواب , لكن صديقي باغتني بأنه قد توفى اليوم!!

وذات زمان كنت أعاين المرضى في دور المسنين , وكنت أقول للممرضة أحيانا بعد معاينتي لمريض أو مريضة , أشعر بأن فلان أو فلانة لن تتعدى الأسبوع , فتهب بوجهي مرتعبة , كيف تقول هذا يا دكتور وهي تمشي وتمارس نشاطاتها اليومية بلا مساعدة , فأجيبها : لا أدري لكن عيونها تقول شيئا آخر , وعندما تموت تأتي إلي الممرضة مندهشة كيف قلت ذلك وتحقق ما قلت؟!!

الواقع أن العيون تخبرنا عن الموت , وتحدثنا بصمت عنه , وتعلمنا بأن الذي أمامنا يتحاوطه الموت وسيتمكن منه , ولن يفلت من قبضته.

عيون الموت وجدتها متحدثة في وجوه الأطفال والمسنين والشباب وفي العديد من الحيوانات التي تسعى فوق التراب.

نعم إن للموت عيون , وللموت أبجديات تبوح بها العيون!!

فهل تصدقون؟!!

أن هناك قوانين غير مرئية تتحكم بمسيرتها , وأن مآلاتها على غير ما يتوقع الناظرون فيها بعيون أخرى!!

فعندما سقطت بغداد عام 1258 على يد هولاكو , قرأ الناس آنذاك أنها الطامة الكبرى , ولن تقوم قائمة للعرب والمسلمين بعدها

لكن أحدهم قرأه بعيون القرون وقرر أن يواجهه ويؤمن بأنه سيهزمه , لأن الإرادة الكونية معه , وحتمية النتيجة بانت بوعيه , فنهض بالمهمة السلطان " قطز" فحرر جيش هولاكو ومزقه شر ممزق

استعادت الأمة كرامتها وعزتها وقدرتها على مواصلة الحياة , ومات هولاكو وجيشه وبقيت الأمة حية في ضمير الوجود الإنساني.

ما تتعرض له الأمة من عدوان متعدد الأطراف والوسائل والغايات , سينتهي حتما , ولن يدوم ظلم وقهر وعدوان , وإنما كل ما يحصل برموزه وآلته سينحدر , عاجلا أم آجلا

مهما طالت مدة العدوان فأن الحق سينتصر عليه , فالنصر للحق دوما والهزيمة للباطل حتما

السر أن الأمة ذات إرادة حية راسخة لا تقتلها العاديات والنائبات , بل تزيدها قدرة على المجالدة والإنطلاق العزوم إلى فضاءات صيرورتها

ثالثا: عين الأمة!!

هل فقأتم عين أمتكم يا عرب؟!!

الذين لا ينظرون ولا يبصرون بعيون الأمة , هم بلا قدرة ولا عزيمة ولا إرادة ولا همة!!

الذين يحدقون بعيونهم القاصرة وعقولهم الحاسرة , لا ينفعون أنفسهم ولا أمتهم!!

فالأمم بعيونها لا بعيون أفرادها , وإن لم تتجمع إرادة الجميع في وعاء كيف أكون لن تدوم أمة!!

نعم , الأمم بعيونها لا بعيون أفرادها!!

فلماذا أعميتم الأمة وهللتم للغمة , وتدحرجتم على سفوح التقهقر والخذلان؟!

الأمة تريدكم أن تنظروا بعيونها , وتبصروا بها لكي تكون أمة!!

يا أيها المهذربون بلسان كلّ يغني على ليلاه , الأمة جريحة عليلة ذات أنين مدوي ترتعب من أصدائه الأكوان!!

وكلّ له صوته المتلاحي , ونواياه السيئة , والأمة في ميادين الإتلاف الحضاري , ويحسب أنه سيكون وعلى رأسه تدوس الأعادي , وتسخّره لتمرير مصالحها وتدمير وجوده , وتمزيق أمته , وهو كالسكران يترنح على أرصفة الويلات اليومية , ويسبّح بحمد كرسيٍّ أثيم!!

فاغمضوا عيونكم وافتحوا عيون أمتكم!!

رابعا: للتأريخ عينان!!

"وعين الرضى عن كل عيبٍ كليلة....ولكن عين السخط تبدي المساويا"

علينا أن نقرأ التأريخ بعينين رغم أنه مكتوب بعين واحدة , فالتاريخ العربي خصوصا يبدو أن الذين أسهموا بكتابته قد أغمضوا عينا وفتحوا أخرى , وما إستطاعوا أن يكتبونه بعينين مفتوحتين , وذلك لأن الحالة كانت كالثورة البركانية التي ألقت بحممها الفكرية والإدراكية الجديدة على جميع الجهات فتسببت بحرائق شاسعة اللهب , إلتهمت قوى وحضارات وضمتها إلى موقدها المتأجج , وبعد أن هدأت نيرانها وتفحم مَن تفحم , وتحول إلى رماد مَن تحول , بدأت الكتابة والقراءة والتقديرات والتقيمات حتى وجدتنا أمام أرشيف هائل من الكتابات المتقاتلة التي ينفي بعضها بعضا , وكأننا في معارك على السطور لا يهدأ أوارها.

وبعد أن دارت القرون وتقلبت الأحوال وإستدارت الأرض مرارا , وجدتنا نقرأ ولكن القراءة أيضا بدأت في معظم الأحيان بعين واحدة وعدم القدرة على القراءة بعينين , أو النظر إلى ما كتبته هذه العين أو تلك العين , مما تسبب بتعقيدات وتشويهات وتخريبات وإنشاءات جديدة لصورة قد لا تكون موجودة أو قائمة في الواقع المنصرم , وكأننا أمام إعادة تصنيع التأريخ في مصانع الأهواء والرغبات والتطلعات المطمورة في النفوس.

ولهذا تجد عين الرضى تكتب بلغة وأسلوب وعين الكراهية بلغة أخرى , فتتجسد الإنتقائية التبريرية والتشويهية لطبيعة العين الناظرة , فكل عين تريد ما يعزز ما تراه وتبني عليه وتسعى لإظهاره ونشره وتأييده.

وعليه فأن قراءة التأريخ لا تنتهي إلى نتيجة قطعية ذات قيمة سلوكية نافعة , وإنما تساهم بتنمية التشويه والتشويش ودفع الناس إلى الحيرة والإستغراب وعدم الإستفادة من الماضي.

وهكذا فأن التعامل مع التأريخ يتسبب بأضرار حضارية , ويعوّق التفاعل المعاصر مع الأيام ويستنزف الطاقات , ويكون من الصالح العام عدم رؤية الحاضر والمستقبل بعيون تأريخية , وإنما لا بد من التحرر الواعي من قبضة التأريخ السلبي والإنطلاق بقدرات تفاعلية إنسانية رائدة , للوصول إلى الأهداف المرجوة وبناء الواقع الإجتماعي والوطني الأقوى والأقدر!!

الكبرى

لنتفاءل بأن المستقبل أفضل وأروع , وأن الحاضر سيكون أجمل وأبهى , وستذهب مع الريح عواصف اليأس والخمول. وإن غدا لناظره لقريب!!

عيون الموت واسعة محدقة تتكلم جميع اللغات التي تختصرها بلغة واحدة واضحة , يراها المتأمل المُجرب الخبير

قبل موت الأحياء تتجمع طاقة خفية في عيونها , وتتكاثف ثم تأخذ بالذوبان شيئا فشيئا حتى يأزف الموت , وهذا واضح في البشر قبل موته , وفي الحيوانات كافة

كان الناس يعلمون في السابق مصطلح " حضور الموت" , ويستعدون للخاتمة بتصفية حساباتهم في الدنيا , فيوصون ويرسمون معالم مصير الأشياء التي تخصهم.

قد ضعفت هذه القدرة على معرفة حضور الموت عند الناس بسبب الإنغماس في زحمة الدنيا , وما تفرضه عليهم من نشاطات وإنقطاعات عن حقيقة الحياة.

الواقع أن العيون تخبرنا عن الموت , وتحدثنا بصمت عنه , وتعلمنا بأن الذي أمامنا يتحاوطه الموت وسيتمكن منه , ولن يفلت من قبضته

نعم إن للموت عيون , وللموت أبجديات تبوح بها العيون!!

خامسا: عيون الكاتب والقارئ!!

الكاتب يسطر ما يرى والقارئ يرى ما يقرأ , ولكل رأس منظاره الذي يبصر بواسطته ما تحثه الكلمات في وعيه ومداركه.

المسافة بين الكاتب والقارئ المعاصر تزداد إتساعا , فما عاد الكتاب خير صديق , ولا القراءة ذات متعة وقدرة على وعي المكتوب , فالنظر في الورق صار غير مستحب , والميل للتحديق في الشاشة ما يسيطر على نشاطات البشر , خصوصا بعد تطور تكنولوجيا التواصلات والتخاطب بالصورة والأفلام القصيرة.

وأصبحت الأذن تقرأ أكثر من العين , فالمسموع يسود والمكتوب يخبو ويخور.

وعندما تجالس الجيل الجديد تجده مصابا بإضطراب التركيز , ويندفع نحو السرعة وإلتقاط الفكرة الجوهرية لأي موضوع بمهارات خاطفة وغير مسبوقة , فقوة ضخ المعلومات في العقول , ذات إندفاقية مطلقة , وتأثيرات متراكمة.

ولهذا فما يتوقعه الكاتب من القارئ لا يتوافق مع ما يتوقعه القارئ من الكاتب , لأنهما ينتميان إلى عالمين متباعدين.

ويبدو أن ما تبقى من أجيال القرن العشرين يتخبطون في معمعة التفاعل مع قراء القرن الحادي والعشرين , فما كتبوه سيتوارى , وما يظهر على الشاشة سيتفاعل معهم ويؤثر فيهم , فالكتاب سيكون مرفوفا أو ديكورا لا أكثر!!

الجيل الجديد يميل إلى ما هو قصير وكثيف , ولا يمتلك القدرة النفسية والرغبة على التواصل مع أكثر من صفحة واحدة , تلوح أمامه على الشاشة التي يحدق فيها ليل نهار.

فالذين ينهمكون بكتابات طويلة عليهم أن يحببوها بما يجتذب القارئ من التقنيات والعبارات الجذابة , التي تثير التفكير وتؤجج التطلع لما هو جديد وأصيل.

فهل سنكسر الأقلام , ونتعلم كيف نعيش في القرن الحادي والعشرين؟!!

و"كتبتُ ولو قدِرتُ هوىً وشوقاً...إليكِ لكنتُ سطراً في الكتاب"!!

فما نفع الأقلام والشاشة ينبوع غرام؟!!

سادسا: عين جالوت والشعراء!!

هي معركة (عين جالوت) التي قضت على الهجمات الهولاكية , وأنقذت البشرية من صولات الإبادات الجماعية المؤيَّدة بأوهام وهذيانات إعتقادية مروِّعة.

وهي من الإنجازات البطولية الحقيقية المغيّرة لمسيرة التأريخ , والمستعيدة لهيبة وعزة الأمة , والمنطلقة بها إلى مواطن جوهرها , والمؤكدة لإرادتها الأبية المؤيدة بنصر عظيم ومقيم.

وهي دليل على أن الأمة لا تتحطم , وإن إنكسرت وتمكن منها الغدر والتعاون مع أعدائها والطامعين بوجودها.

فالأمة تبقى طودا شامخا , معبرا عن مسيرة الإنسان بما فيه , وما يمر به ويبدر منه , وهي المطواعة المتحملة المقتدرة الكانزة لطاقة القوة والإقتدار , وعلى أجيالها أن تفعّلها , وتنطلق من جذور منبتها الأصيل.

ولابد من الإشارة إلى أن فردا مؤمنا بجوهر أمته وإرادة صيرورتها الأبدية العلية , يستطيع إستنهاضها وتأمين مقامها الحضاري الرفيع.

ولنا أن نتعلم من سلوك (قطز) , الذي بعث الحياة في أمةٍ حسبت أنها ماتت ولن تقوم لها قائمة!!

"قطز" الذي حكم مصر لأقل من سنة واحدة (1259 – 1260) , الملقب بالملك المظفر سيف الدين

فهل تصدقون؟!!

الذين لا ينظرون ولا يبصرون بعيون الأمة , هم بلا قدرة ولا عزيمة ولا إرادة ولا همة!!

الأمم بعيونها لا بعيون أفرادها , وإن لم تتجمع إرادة الجميع في وعاء كيف أكون لن تدوم أمة!!

نعم , الأمم بعيونها لا بعيون أفرادها!!

فلماذا أعميتم الأمة وهللتم للغمة , وتحدرجتم على سفوح التقهقر والخذلان؟!

علينا أن نقرأ التأريخ بعينين رغم أنه مكتوب بعين واحدة , فالتاريخ العربي خصوصا يبدو أن الذين أسهموا بكتابته قد أغمضوا عينا وفتحوا أخرى , وما إستطاعوا أن يكتبونه بعينين مفتوحتين

بعد أن دارت القرون وتقلبت الأحوال وإستدارت الأرض مرارا , وجدتنا نقرأ ولكن القراءة أيضا بدأت في معظم الأحيان بعين واحدة وعدم القدرة على القراءة بعينين

تجد عين الرضى تكتب بلغة وأسلوب وعين الكراهية بلغة أخرى , فتتجسد الإنتقائية التبريرية والتشويهية لطبيعة العين الناظرة , فكل عين تريد ما يعزز ما تراه وتبني عليه وتسعى لإظهاره ونشره وتأييده.

لا بد من التحرر الواعي من قبضة التأريخ السلبي والإنطلاق

, إسمه قطز محمود بن ممدود بن خوارزمشاه.

ولد في (1221\11\2) ببلاد ما وراء النهرين , وأغتيل بالصالحية في مصر في (1260\10\24) من قبل الظاهر بيبرس , بعد خمسين يوما من نصره الذي غيّرَ مسار التأريخ.

وهو إرادة أمة تتجمع في فرد مؤمن مغوار أنقذها من رقدة العدم , وقد تجسدت هذه الإرادة الملحمية الإيمانية المطلقة في شخصه , وبموجبها إنتصر على التتار في معركة "عين جالوت" (1260\9\3) أي بعد أقل من سنتين من سقوط بغداد.

إذ خرج بجيش لا يمكن مقارنته بجيوش التتار , لكنه مسلح بإيمان مطلق بالله , وبأن الله سينصر عبده , ولا ينقض عهده , فكان له نصرا مبينا , وفتحا أمينا , وهزيمة نكراء لهولاكو وجنده , لم يتحمل هوانها فمات بقهره وذله بعدها!!

تلك المعركة الأسطورية التي لم يفها التأريخ حقها , إنها نور وأنوار , وإرادة أمة تجلت بصيحات أللهم أنصر عبدك وجندك على المارقين.

إنها معركة إنتصار حق على باطل , ومؤمن على غادر , وتعبير عن صوت الله الإيماني الهادر.

إنها حالة تتكرر في الأمة , وأظنها إقتربت من ظهور قطزها الذي سيعيد لها جوهر ما فيها من الإقتدار.

هذه الحالة الفريدة المتميزة الوهاجة الخارقة , لا نجد شاعرا يتغنى بها , أو يصف لنا سجالاتها , ويحدثنا عن قائدها الذي زعزع أركان المتوحشين المدمرين لمعالم الحضارات.

إنه لغز محير , من الصعب حله , مثلما لا تجد في شعر البحتري ما يشير إلى ملوية سامراء والجامع الكبير!!

فهل أن الشعر كان تجارة , وبموت القائد فقد سوقه وما عاد مربحا؟!!

سابعا: الموت يكحل عيون الذكريات

إلى صديقي الذي أخبرني بأنه مات....

في مدينتنا الجميلة الرائعة المتهادية على ضفاف دجلة ، الشامخة بالكبرياء والعزة والتاريخ ، والمتطلعة بشواهدها إلى السماء والساعية بمآذنها نحو المطلق ، كنا نجوب طرقاتها ونلعب في ساحاتها ، ونعانق مياه النهر الجارية بقوة وانسيابية ذات أنغام تمنحنا الهدوء والطمأنينة والأمل.

وكنا صبية ، وسمعنا به لأنه لمع في رياضة بناء الأجسام ، فاتخذناه مثلا فيها وصرنا نمارسها بشغف بسببه.

وفي أيام العطلة الصيفية ، نراه عصر كل يوم على ضفاف النهر يتمرن في الهواء الطلق ، واقتربنا منه أكثر وأكثر، يشدنا إعجاب به ومشاركة بتلك الرياضة , فصار أستاذنا ومدربنا في كيفية بناء أجسامنا ، وكان يريدنا أن نترجم مقولة الجسم السليم في العقل السليم بالفعل لا بالقول. وتطورت علاقتنا وأصبحنا أصدقاء وأخذنا نلتقي به يوميا لنمارس التمارين الرياضية ، وبعدها نجلس في حلقة فوق الرمال لنتحدث عن شؤون الأدب والثقافة ، وكان يخيم صيفا عند النهر بأثقاله التي يتمرن بها ، ومعه كيس صغير يحوي كتبا يقرؤها.

وكانت حلقاتنا الثقافية اليومية تتناول الأدب العالمي لجميع الكتاب الذين كانت لديهم كتبا مترجمة إلى العربية , فما أبقينا كتابا لكاتب أجنبي إلا وتناولناه ، وكانت مكتبة مدينتنا العريقة موئلنا ، فنقضي فيها معظم الوقت لنقرأ ما يوجد من كتب لهم ، وعند العصر نذهب إلى الرياضة وبعدها نتحدث فيما

بقدرات تفاعلية إنسانية رائدة , للوصول إلى الأهداف المرجوة وبناء الواقع الإجتماعي والوطني الأقوى والأقدر!!

الكاتب يسطر ما يرى والقارئ يرى ما يقرأ , ولكل رأس منظاره الذي يبصر بواسطته ما تحمله الكلمات في وعيه ومداركه

المسافة بين الكاتب والقارئ المعاصر تزداد إتساعا , فما عاد الكتاب خير صديق , ولا القراءة ذات متعة وقدرة على وعي المكتوب , فالنظر في الورق صار غير مستحب , والميل للتحديق في الشاشة ما يسيطر على نشاطات البشر

أصبحت الأذن تقرأ أكثر من العين , فالمسموع يسود والمكتوب يخبو ويخور.

فما يتوقعه الكاتب من القارئ لا يتوافق مع ما يتوقعه القارئ من الكاتب , لأنهما ينتميان إلى عالمين متباعدين

يبدو أن ما تبقى من أجيال القرن العشرين يتخبطون في معمعة التفاعل مع قراء القرن الحادي والعشرين , فما كتبوه سيتوارى , وما يظهر على الشاشة سيتفاعل معهم ويؤثر فيهم

الذين ينهمكون بكتابات طويلة عليهم أن يحببوها بما يجتذب القارئ من التقنيات والعبارات الجذابة , التي تثير التفكير وتؤجج التطلع لما هو

قرأناه.

وفينا أيضا مَن يقرأ للعقاد ولطه حسين والمنفلوطي وجبران ويوسف إدريس وحتى للغزالي وآخرين، وغدت تلك الحلقة اليومية ذات طعم خاص ولذة ثقافية وقيمة وأثر في حياتنا , فواظبنا على المشاركة الفعالة فيها.

وكان صديقنا يديرها بشغف وحب ويتحاور معنا فيما قرأه من مقالات وموضوعات ، وكنا لا نريد لتلك الحلقة أن تنتهي لثراء موادها الثقافية وتفاعل العقول المشاركة بجد واجتهاد , وما لدينا هدف سوى حب الثقافة والرياضة والإبداع .

ومن المجلات التي كنا مغرمين بها مجلة لبنانية اسمها " نجوم الرياضة" فنتابع أعدادها لأنه يقرؤها ونحن المعجبون به.

ولم يكن ميسور الحال لكنه ثري الثقافة والخيال ، ويجهد في مساعدة والده على حمل هموم المعيشة وسد حاجات العائلة.

وتوطدت علاقتي به وتطورت موضوعاتنا وتعمقت ونضجت ، وفي كل لقاء نغوص بموضوع ثقافي شائك ، نصب فيه ما نستطيعه من الرؤى والتصورات , وكنا نكتب القصة القصيرة ونتناقش فيما نكتبه بين الحين والآخر، لكنه لم ينشر ولم أنشر.

وبعد أن ذهب للدراسة لكي يكون معلما ، انقطعت أخباره عني ، وكنت ألتقيه كلما سنحت الصدفة بذلك , وبعد أعوام أصبحت طالبا في الكلية الطبية ، وفي أحد الأيام ، وأنا مزمع السفر إلى كليتي ، وجدته في ساحات انتظار السيارات ، فرحبنا ببعضنا ، وأخذ يحدثني عن حياته وأيامه ، وكيف أنه يشعر بالسعادة الغامرة ، لأنه يعلّم في قرية ، ويقضي ليله في بيت من الطين ، ويأكل طعاما بسيطا ، ووجدته في زهد شديد وميال للتفقه في الدين والبحث عن الأفكار وممارسة رياضة التأمل وغيرها من الرياضات، فابتعد عن رياضة بناء الأجسام إلى رياضة بناء الروح.

وقال لي: أنت ستكون كذا بعد بضعة سنين، وسيكون لك مستقبلك

قلت: إنشاء الله نكون جميعا بخير

قال: أنا قد وجدت مستقبلي وعرفت ضالتي وأعيش سعادتي

قلت: وكيف يكون ذلك وأنت في القرية وغرفة الطين كما ذكرت

قال: إنها أروع لحظات الحياة وأعمقها وعيا وثقافة

ومضينا في حديث متشعب , ثم أخذني جانبا وأخرج كتيبا صغيرا من حقيبته السوداء التي يتأبطها ، وكان الكتيب عن التراث ومؤلفه مؤسس الحزب الحاكم آنذاك.

وقال لي غاضبا: هل قرأته ، سأفنده وأرد عليه.

قلت: ألا تخاف؟

قال: وهل تحسبني أعرف الخوف و أنا حي في هذا الزمن الميت؟

وبعد نقاش وتبادل آراء حول الموقف من التراث ، ودعته بحرارة وشوق وودعني بحزن وألم ، وهو يريد أن تتكرر لقاءاتنا , لكننا ما إلتقينا بعد ذلك اليوم ، ولم أقرأ له ولم يقرأ لي , لكنني بقيت أتذكره ، وأراه من الذين ساهموا في صياغة تفكيري وتوجهاتي , لأن تلك اللقاءات الثقافية الحامية الجادة الثرية ونحن في

جديد وأصيل.

هي معركة (عين جالوت) التي قضت على الهجمات المغولاكية , وأنقذت البشرية من ويلات الإبادات الجماعية المؤيَّدة بأوهام ومذيانات إعتقادية مروِّعة

أن الأمة لا تتحطم , وإن إنكسرت وتمكن منها الغدر والتعاون مع أعدائها والطامعين بوجودها.

لنا أن نتعلم من سلوك (قطز) , الذي بعث الحياة في أمةٍ حسبت أنها ماتت ولن تقوم لها قائمة!!
"قطز" الذي حكم مصر لأقل من سنة واحدة (1259 – 1260)

ولد في (2\11\1221) ببلاد ما وراء النهرين , وأغتيل بالصالحية في مصر في (24\10\1260) من قبل الظاهر بيبرس , بعد خمسين يوما من نصره الذي غيّرَ مسار التأريخ.

هو إرادة أمة تتجمع في فرد مؤمن مغوار أنقذها من رقدة العدم , وقد تجسدت هذه الإرادة الملحمية الإيمانية المطلقة في شخصه , وبموجبها إنتصر على التتار في معركة "عين جالوت" (3\9\1260) أي بعد أقل من سنتين من سقوط بغداد

خرج بجيش لا يمكن مقارنته

صبانا ، كان لها أكبر الأثر في تنويرنا وفتح بوابات عديدة في عقولنا وجعلتنا نعشق الثقافة عشقا غريبا ومتواصلا ، رغم أننا لا نكسب منها ، ولا نحتاجها لامتلاكنا ما يساعدنا على الحياة.

وكلما تساءلت لماذا التمسك بالقلم والكتاب ، أعود إلى أيام تلك الحلقات الثقافية النقية الصافية الرائعة التطلعات ، وأدرك أنها ربما كانت السبب.

وأمعنت بفرقتنا الأيام والأحداث والتطورات ، وعاش صديقي في الوطن الذي يخنق الطاقات ويحطم القدرات ويمنع العقول الفذة المبدعة من التفاعل والنماء , وغادرته في متاهات الإغتراب.

وعندما عرفت بخبر وفاته ، توقدت الذكريات وحضرت تلك الأوقات الغنية بالمعرفة والإبداع ، وأدركت أنه لا يتحمل ألما وحزنا كحزن وطنه الذي عشقه وبث أنهاره لوعة الوجد الإنساني النبيل. وبودي أن أقرأ له ، لأرى كيف صار يفكر ذلك الإنسان الممتلئ بالحيوية والباني لجسمه وعقله وروحه أحسن البناء.

فتحية لك يا صديقي والموت يكحل عيون الذكريات. وألف تحية لمدينتنا الزاهية بالعقول والأمنيات.

وختاما , علينا أن نحترم ما نبصر وننظر ونفاعل ما تستجمعه عيوننا وتطبخه عقولنا , لنحقق إرادة أمتنا التي عبّر عنها أجدادنا الميامين , الذين أطلقوا إرادة العقل الحر بوجه التحديات , فانتصروا عليها وأسسوا معالم مجدٍ أثيل.

بجيوش التتار , لكنه مسلح بإيمان مطلق بالله , وبأن الله سينصر عبده , ولا ينقض عهده , فكان له نصرا مبينا , وفتحا أمينا , وهزيمة نكراء لهولاكو وجنده , لم يتحمل هوانها فمات بقهره وذله بعدها!!

تلك المعركة الأسطورية التي لم يفهما التأريخ حقها , إنها نور وأنوار , وإرادة أمة تجلت بصيحات أللهم أنصر عبدك وجندك على المارقين

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa397-300126.pdf

**** **** ****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2026 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع عشر)

الشبكة تدخل عامها 26 من التأسيس و 24 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2026

رابط تحميل الكتاب من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

رابط تحميل الكتاب من المتجر الإلكتروني
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=295&controller=product&id_lang=3

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2025

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2024.pdf

التحميل من المتجر الإلكتروني
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=647&controller=product&id_lang=3